الخنساء

هي: تماضر بنت عمرو، بن الحارث، بن الشريد، بن ثعلبة بن عصية بن خفاف بن امرئ القيس بن بهثة بن سليم السلمية.

قال ابن حجر: الشاعرة المشهورة وتماضر بمثناة فوقانية أوله وضاد معجمة.

وفي ذلك يقول دريد بن الصمة حين رآها تهنأ إبلا لها ثم تجردت واغتسلت فأعجبته، فخطبها فأبت، فقال فيها:

حيوا تماضر واربعوا صحبي ::: وقفوا فإن وقوفكم حسبي
ما إن رأيت ولا سمعت به ::: كاليوم طالي أينق جرب
متبذلا تبدو محاسنه ::: يضع الهناء مواضع النقب
أخناس قد هام الفؤاد بكم ::: واعتاده داء من الحب

فبلغتها خطبته، فقالت: لا أدع بني عمي الطوال مثل عوالي الرماح، وأتزوج شيخا، فلما بلغه ذلك قال من أبيات:

وقاك الله يا ابنة آل عمرو ::: من الفتيان أمثالي ونفسي
وقالت إنه شيخ كبير ::: وهل خبرتها أني ابن أمس
وقد علم المراضع في جمادي ::: إذا استعجلن عن حز بنهس

إلى أن قال:

وأني لا أبيت بغير نحر ::: وأبدأ بالأرامل حين أمسي
وأني لا يهر الكلب ضيفي ::: ولا جاري يبيت خبيث نفس

فأجابته بأبيات.

قال أبو عمر: قدمت على النبي ﷺ مع قومها من بني سليم، فأسلمت معهم، فذكروا أن رسول «الله ﷺ كان يستنشدها ويعجبه شعرها، وكانت تنشده وهو يقول: "هيه يا خناس ويومئ بيده».

قالوا: وكانت الخنساء تقول في أول أمرها البيتين أو الثلاثة، حتى قتل أخوها شقيقها معاوية بن عمرو، وقتل أخوها لأبيها صخر، وكان أحبهما إليها، لأنه كان حليما جوادا محبوبا في العشيرة، كان غزا بني أسد فطعنه أبو ثور الأسدي طعنة مرض منها حولا، ثم مات فلما قتل أخواها أكثرت من الشعر،

فمـــــن

قولها في صخر:

أعـــــيني جـــــودا ولا تجمـــــدا ::: ألا تبكيـــــان لصـــــخر النـــــدى
ألا تبكيـــــان الجـــــريء الجميـــــل ::: ألا تبكيـــــان الفـــــتى الســـــيدا
طويـــــل النجـــــاد عظـــــيم الرمـــــاد ::: ســـــاد عشـــــيرته أمـــــردا

قال: وأجمع أهل العلم بالشعر أن لم تكن امرأة قبلها ولا بعدها أشعر منها (1).

وفي معركة القادسية كانت الخنساء بنت عمرو السلمية ومعها بنوها أربعة رجال، فذكر موعظتها لهم وتحريضهم على القتال وعدم الفرار، وفيها: إنكم أسلمتم طائعين، وهاجرتم مختارين وإنكم لبنو أب واحد وأم واحدة، ما هجنت آباءكم، ولا فضحت أخوالكم، فلما أصبحوا باشروا القتال واحدا بعد واحد حتى قتلوا، وكان منهم أنشد قبل أن يستشهد رجزا فأنشد الأول:

يـــا إخـــوتي إن العجـــوز الناصـــحه ::: قـــد نصـــحتنا إذ دعتنـــا البارحـــه
بمقالـــة ذات بيـــان واضـــحه ::: وإنمـــا تلقـــون ثم الصـــائحه

من آل ساسان كلابا نابحه.

وأنشد الثاني:

إن العجـــوز ذات حـــزم وجلـــد ::: قـــد أمرتنـــا بالســـداد والرشـــد
نصـــيحة منـــها وبـــرا بالولـــد ::: فبـــاكروا الحـــرب حمـــاة في العـــدد

وأنشد الثالث:

والله لا نعصـــي العجـــوز حرفـــا ::: نصـــحا وبـــرا صـــادقا ولطفـــا
فبـــادروا الحـــرب الضـــروس زحفـــا ::: حـــتى تلفـــوا آل كســـرى لفـــا

وأنشد الرابع:

لســـت لخنســـاء ولا للأخـــرم ::: ولا لعمـــرو ذي الســـناء الأقـــدم
إن لم أرد في الجـــيش جـــيش الأعجـــم ::: ماض علـــى الهـــول خضـــم حضـــرمي

ثم تقدم فقاتل حتى قتل.

(1) الإصابة (7/613 - 616).

قال: فبلغها الخبر، فقالت: الحمد لله الذي شرفني بقتلهم، وأرجو من ربي أن يجمعني بهم في مستقر رحمته.

وكان عمر بن الخطاب يعطي الخنساء أرزاق أولادها الأربعة، لكل واحد مائتا درهم، حتى قبض [1].

وتوفيت الخنساء رضى الله عنها بالبادية في أول خلافة عثمان بن عفان ضى الله عنه سنة 24هـ [2].

* * * * *

(1) أسد الغابة (268/5)، الأعلام (86/2).
(2) الإصابة (7/ 616).